مقدمة الكتاب

«أسرار الفن التشكيلى» عنوان هذا الكتاب الذى يجده القارىء بين يديه، ولعله يتساءل: ما هى تلك الأسرار التى يختص بها الفن التشكيلى دون غيره؟ الواقع أن كل فن له أسراره التى لا يعرفها غير المتضلعين فى المهنة، أو كما يقال بالعامية «المحنكين فى الكار»، ولذلك قد لوحظ أن المحنكين يموتون وهم محتفظون بتلك الأسرار، التى ما كانت لتنتقل من الأستاذ لتلميذه، أو من المعلم لصبيه، إلا إذا كان هناك تتلمذ بالمعنى الحقيقى، ومعنى ذلك وجود تلميذ يعتقد فى أستاذه، وأستاذ وصل من الخبرة إلى درجة عميقة بحيث تجلب احترام كل من يتصل به ويقدره حق قدره. ومع الأسف فى زحمة انشغال كليات الفنون بتعليم الآلاف، قد يتخرج الكثيرون ولم يقفوا على أسرار الفن الذى تخصصوا فيه، ولذلك تجد معلوماتهم تهتم بالشكل أكثر من الجوهر، وبالتالى هم يتصدرون مراكز الفن، ويمارسون شكلياته، دون أن يغوصوا فى أسراره، ويصلوا إلى درجة الأستاذية فيه. ولذلك يندر بين الناطقين بالضاد من حقق مجداً عالمياً فى الفن التشكيلى، بحيث يذكر اسمه مع قادة الفن فى العالم المتحضر المعاصر.

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمشتغلين بالفن التشكيلى على وجه العموم، فالمشكلة تظهر بشكل خطر بالنسبة للجمهور المتذوق بوجه عام، أين هو هذا الجمهور؟ وما هى معلوماته عن الفن التشكيلى؟ وكيف يشجع الفنانين ويرتاد معارضهم ويقتنى أعمالهم؟ الإجابة عن هذه الأسئلة تتجه ناحية السلب أكثر من الإيجاب. والقضية فى نظر المؤلف قضية الثقافة الفنية المنتشرة وضحالتها. أين الكتب التى تؤلف فى هذا المضمار؟ وما هى المجلات التى تصدر لتنير الرأى فى هذا المجال، وأين هى البرامج الخاصة فى مجالات الإعلام المختلفة التى تتبنى قضية الفن التشكيلى وتبرزها للجمهور؟ إن الفرص المتاحة ضئيلة، ولذلك يزداد الجهل بالفن التشكيلى وأسراره مع ضحالة ما ينشر حوله.

هذه المشكلات دعت المؤلف أن يفكر مليا فى مداخل لحلها، وكان أهم شىء دار فى ذهنه إيجاد مؤلف مبسط يحكى شيئاً عن الفن التشكيلى، ويشرح أسراره، دون أن يخوض فى تعقيد فى مصطلحات عويصة تكره القارىء أكثر فى تتبع الموضوع، ومعرفة شىء حوله، ولذلك خرج هذا الكتاب ليسير للجمهور، وخاصة غير المتخصص، وطلاب الفن البادئين، شيئاً عن كنه الفن التشكيلى ومضمونه.

والكتاب يقع فى ثلاثة أبواب رئيسية: الأول يعالج «مقومات الفن التشكيلى» وهى فى نظر الكاتب وحدة متعددة الجوانب، ولذلك يشرح هذا الباب مفهوم هذه الوحدة من الوجهة الإبداعية، ثم يخوض فى تفاصيلها: الخط، والمساحة والملمس، والكتلة والحجم، والنسب، والضوء، والإيقاع.. إلى آخر ما جاء من تفصيلات فى هذا الكتاب، الذى يصور أخلاقيات هذه العلاقات مجتمعة فى وحدة العمل الفنى.

ثم ينتقل الكتاب إلى الباب الثانى وعنوانه «الفن التشكيلى وسيلة للتعبير ونقل الخبرة»، وهنا تعالج تفصيلات أخرى من طبيعة تختلف إلى حد ما عما جاء من تفصيلات فى الباب الأول. فيشرح مفهوم الموضوع، والشكل والمضمون، والإثارة، والتلقائية، والعلاقة بين الصدفة والقصد، ومعنى التعبير، والخيال، والتجريد، والإيقاع، والأسلوب إلى آخر ما جاء بهذا الباب.

أما الباب الثالث فيعالج فى عمومه «القيم الحضارية للفن التشيكلى»، فيربط بين الفن وشتى مقومات الحياة ـ يشرح الصلات بين الفن التشكيلى والمداخل المختلفة التى يحتك بها فتؤثر فيه وتتأثر به، ومن بين هذه الروابط صلة الفن بالحياة، وبالتراث، والأخلاق، والتربية السلوكية، والدين، والعلم، والأدب، والفلسفة، والتحليل النفسى، والفراغ، والصناعة، وغير ذلك من علاقات.

فالكتاب إذا يمثل ثلاث وحدات رئيسية: الأولى تعالج البناء، والثانية تعالج التعبير، والثالثة تعالج التأثير الحضارى للفن التشكيلى. والكتاب بهذا النحو محاولة لتجميع أسرار الفن التشكيلى فى ثلاثة خيوط رئيسية، وليس معنى ذلك أن الموضوع قد وفى تماماً، فالحقيقة أن كل عنصر فيه يمكن أن تكتب عنه مجلدات لكى يستوفى بحثاً، ويحتاج لحياة أكثر من مؤلف ليدخرها، لخدمة

الموضوع واستيفائه، ولكن ما جاء هنا هو من قبيل فتح الشهية لموضوع دسم غنى بالأسرار.

والجدير بالذكر أن هذا المؤلف لم يكتب دفعة واحدة، بل هو ثمرة جهد سنوات، وقد بدأ مع بداية إعارتى لكلية التربية جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة عام ١٩٧٥، حيث جئت لإنشاء قسم للتربية الفنية فى مكة المكرمة ـ تلك المدينة المقدسة ـ والذى بدأ فى إخراج أول ثماره هذا العام. وساعد فى كتابته ما أتاحته لى جريدة الندوة التى تصدر فى مكة المكرمة، بأن أنشر للجمهور تباعاً شيئاً تحت عنوان «أسرار الفن التشكيلى» فى ملحق الجريدة الذى كان يصدر كل خميس، وبعد ذلك فى باب ندوة الأدب والثقافة الذى يشرف عليه الدكتور صالح جمال بدوى أيام السبت أو الاثنين. كما نشرت جريدة عكاظ بعض تلك الفصول، لكن بعد أن جمعت المادة، وأعيدت مراجعتها لإكسابها شيئاً من الوحدة، وإحلال فقرات بأخرى، وإدخال تعديلات، واستطرادات، هنا وهناك، وتقديم صور ملائمة، ظهر هذا الكتاب بشكله الجديد، الذى يعالج هذه المبادىء العامة للفن التشكيلى، التى تهم كل مشتغل بهذا الفن: مدرس، أو طالب، أو مثقف، يريد مدخلاً يرشده فى هذا المضمار.

وقد كان لتلاميذى الذين أدرس لهم مادة التذوق الفنى فضل فى تتبع مادة هذا الكتاب بالمناقشة أثناء المحاضرات، وبالقراءة فيما كانت تنشره الصحيفتان، الندوة.و عكاظ. وإذ كان لى أن أشكر بعض من شجع ودفع عجلة هذا الكتاب للأمام، فأشكر السيدة زوجتى التى أحاطت إنتاجه بالرعاية، كما أشكر السيد/ لويس رزق الله برسوم للجهد الذى بذله فى نسخ فصوله وإعدادها للمطبعة.

وفى الختام أرجو أن يكون هذا الكتاب إسهاماً بجهد متواضع فى شرح قضية الفن التشكيلى، ومشكلاته، وأسراره، للقراء فى الوطن العربى، والله أسأل أن يساعدنى دائماً فى البحث عن الحقيقة، ويعيننى فى التعبير عنها ونشرها، فما أجمل أن يكون ذلك من خلال الفن التشكيلى الذى يصور تلك الأسرار، ويعبر عنها للجمهور المتعطش دائماً لفهم هذا السحر الأزلى، الذى يحار معه، ويحسسه

دائماً بأن هناك شيئاً أكبر منه، وأخلد منه، سجله الموهوبون من البشر عبر عصور متصاعدة من الحضارات المتعاقبة، تلك نعم الله، يهبها لمن يشاء، إنه نعم المولى ونعم المعين، ومنه التوفيق وبه، وصدق الله فى قوله: «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض» (١). صدق الله العظيم.

المؤلف

فندق الفتح - مكة المكرمة

مايو ١٩٨٠

رجب ١٤٠٠

---

(١) القرآن: سورة الرعد، آية ١٧

مقدمة الطبعة الثانية

لقد راجعت الطبعة الثانية من هذا الكتاب، وعدلت بعض العبارات هنا وهناك لمزيد من الدقة، وأضفت فقرات لمزيد من الشرح، وجددت الصور جميعها فوضعت مستنسخات أفضل من بعض الصور الأصلية، وحذفت الصور الباهتة، وجئت بغيرها أكثر وضوحاً ثم وضعت الصور فى تسلسل يسهل على القارىء متابعتها بادئاً بالصور الأسود والأبيض ومنتهياً بالصور الملونة.

ومازال لهذا الكتاب أهمية خاصة، إذ أنه يشرح ببساطة عناصر الفن التشكيلى ويقربها للقارىء بالأمثلة والمقارنات وربط الخبرة البصرية بغيرها من المداخل فى الأدب والسياسة والصناعة والدين وغير ذلك من مقومات حضارية فربط الكتاب بين الفن والحياة.

وقد لاحظت أن طلبة الفن وطالباته ينهلون منه ويبدد لهم الغموض الذى يكتنف ممارساتهم للفن ويستعين به طلبة كلية التربية الفنية فى إيضاح أهدافهم الفنية فى دروس الفن لتلاميذهم فى التعليم العام. إلى هؤلاء وإلى القارىء الذى يبحث عن ثقافة فنية أقدم هذه الطبعة الثانية من الكتاب راجيا أن تؤدى وظيفتها فى نشر الثقافة الفنية.

مصر الجديدة فى ١/١/١٩٩٣

أ. د. محمود البسيونى